هنية ومشعل يتحولان في نظر القادة العرب الى جزء شرعي من الحل

تحركات المبادرة السعودية لتسوية النزاع بين فتح والحركة الاسلامية ستتمخض عن اعتراف الدول العربية بشرعية حماس.. واسرائيل وامريكا لن تستطيعا الوقوف بوجهها

■ «التناحر المتبادل بين فتح وحماس ليس نابعا من التصادم بين المواقف السياسية لهاتين الحركتين، وليست له علاقة بقضية الاعتراف «بالعدو الصهيوني».. «كتب صلاح القلاب، وزير الاعلام الاردني سابقا في مقالة انتقادية نشرتها صحيفة «الشرق الاوسط».

سبب الصراع حسب رأيه هو الحكم، ذلك لان «الجميع (حماس وفتح والآخرين) يعترفون باسرائيل كحقيقة ثابتة ولا يفكر أحد بأن فلسطين من النهر الى البحر هي وقف اسلامي لا يتوجب المساس به، للجميع هدف استراتيجي واحد وهو اقامة دولة فلسطينية في المناطق التي احتلت في عام 1967 ».

هذا المنطق الواضح الذي يعبر عن الاجماع العربي على الأقل منذ 2002، سيُطرح على المحك في هذا الاسبوع عندما يجتمع قادة حماس وفتح، ومن بينهم اسماعيل هنية ومحمود عباس وخالد مشعل، في مكة المكرمة مع الملك عبد الله، ملك السعودية، من اجل التوصل الى صيغة انقاذية. ذلك لانه بعد اللقاء الفاشل في دمشق الذي كان بشار الأسد هو الرابح الوحيد فيه، وبعد لقاء سابق في السعودية في عيد الأضحى، تمخض هو الآخر عن ضحايا جدد، قررت السعودية الخروج من الظل، ذلك لانها كانت دائما تسعى الى تغطية تحركاتها السياسية وطالعتنا بسياسة معلنة جلية. يريدون محاولة انقاذ الوضع في الموقع الذي فشلت فيه الجهود المصرية.

على الطاولة الفاخرة ستوضع مرة اخرى عقبتان أساسيتان: كيفية اعطاء فتح حقائب تشريفية من دون المس بحقيقة أن حماس هي التي انتصرت في الانتخابات. وأي صيغة سياسية يمكنها أخيرا ان تحرر المناطق من الحصار الاقتصادي.

يبدو ان هناك احتمالية جيدة في هذه المرة تحديدا لتسوية الخلاف الفكري. السعودية مستعدة الآن للاعتراف بما كان واضحا منذ البداية: ليس هناك حل سياسي أو داخلي من دون حماس. السعودية، خلافا لاسرائيل ومصر والاردن، ليست ملزمة ايضا بالنظر في كل لحظة نحو واشنطن من اجل اتخاذ قرار بصدد السياسة «الصحيحة». وهكذا مثلما تتمتع واشنطن من ان السعودية تقوم الآن بشن حملة معلنة وواضحة ضد ايران وضد أنشطتها في العراق ـ ستضطر من الناحية الاخرى هي وشركاؤها في الرباعية الدولية الى تبني «الصيغة السعودية» في قضية فلسطين. هذه الصيغة التي ستحدد على ما يبدو بكون الممكن الاكتفاء بأن «تحترم» حماس الاتفاقات التي وقعتها السلطة الفلسطينية مع اسرائيل من دون الالتزام بها. هذه صيغة ما زال عباس معارضا لها، ولكن مصر والسعودية مستعدتان لتبنيها.

ما هو المغزى العملي من هذه الصيغة؟ من الناحية القانونية ليس لها أي مغزى حقيقي، ذلك لان الاتفاقات التي لا توقع كعقد لا تملك معنى قانونيا، وعلى سبيل الذكر نورد «خريطة الطريق» التي فشلت. ولكن من الممكن أن يكون لذلك مغزى سياسي وفلسطيني داخلي كبير، لأن هذا المصطلح سيلتحق بمقولة خالد مشعل حول اعترافه باسرائيل كـ «حقيقة» وأن حماس تحافظ على التهدئة مع اسرائيل، كما أن مشعل يقول منذ مدة من الزمن أنه يطمح الى اقامة دولة فلسطينية في حدود 1967، والى أن حماس تضع اعترافها باسرائيل ضمنيا شرطا لاعتراف اسرائيل بها.

السعودية قامت من خلال خطوة فطنة وذكية باعطاء هنية وعباس مكانة متكافئة خلف طاولة المداولات. وبالنسبة للسعودية انتهت الحكاية التي يعتبر فيها عباس الشخص الطيب، وهنية الشخص الشرير، فتح تسعى للسلام وحماس تنظيم دموي. كلاهما بالنسبة للسعودية (وباقي الدول العربية) يقتلان بعضهما البعض بدرجة متساوية. لذلك اذا توصلوا الى اتفاق، واذا قبلوا صيغة عبد الله، لن يعود هناك من يستطيع أن يمنع الاعتراف العربي الشامل بالحكومة الفلسطينية بما في ذلك اسرائيل أو الولايات المتحدة.

ستكون لهذه الصيغة ايضا علاقة مباشرة مع اسرائيل. لانه عندما لا تكون في اسرائيل حكومة قادرة على التفرغ من اجل التعامل مع المجريات السياسية، فمن الأفضل لأطرافها أن يفهموا ان هناك انعطافة تحدث. بعد عام من الانتخابات البرلمانية التي أوصلت حماس الى الحكم لم يعد سقوط حماس مضمونا، لا بل العكس هو الصحيح. رئيس حكومة فلسطين وسيده في سورية يتحولان في نظر القادة العرب الى جزء شرعي من الحل.

خالد مشعل

اسماعيل هنية

الملك عبد الله بن عبد العزيز

تسفي برئيل
المراسل السياسي للصحيفة
(هآرتس) 2007/2/4

التوازن ما زال قائما ونهجه يتقدم الى الأمام

أحمدي نجاد يواجه آثار سياسته الطموحة خاصة في المجال النووي من خلال المصاعب الاقتصادية الداخلية والتململ المتزايد

■ قبل عشرة ايام اجتمع ممثلو اتحاد المعلمين في ايران أمام مقر البرلمان في طهران ووجهوا مهلة محددة للرئيس محمود أحمدي نجاد: اذا ألغى في ميزانية 2007 علاوة الأجور التي وُعدوا بها فسيضربون عن العمل.

حسب عدة مصادر في ايران، اجتمع في الاسبوع الماضي عدد من السياسيين والوزراء السابقين في منزل رئيس البرلمان السابق، مهدي خروبي، للتباحث ـ وفي الواقع للانتقاد ـ في طريقة ادارة الرئيس لشؤون الدولة. التقارير الواردة من ذلك اللقاء تشير الى أن المشاركين لا يتعاطفون مع اسلوب نجاد في مجال العلاقات العامة وتفاخره بالمشروع النووي (ولا قرار الشروع في هذا المشروع النووي من الأصل). ولكن قضية النقاش الأساسية في ذلك اللقاء كانت الاقتصاد الايراني.

يتبين أنه بينما تُبدي الأسرة الدولية خوفا متزايدا من المشروع النووي الايراني، يزداد القلق في الدولة نفسها من الأرقام المسجلة في ميزانية الدولة التي قُدمت في هذا الاسبوع للنقاش في البرلمان. اعضاء البرلمان الذين ينتمون في أغلبيتهم للتيار المحافظ قد برهنوا في السابق على أنهم لا يوافقون على لعب دور البصّامة للمصادقة على أي خطة يطرحها الرئيس. أحمدي نجاد يذكر بالتأكيد الكفاح الذي خاضه في صعوده الى القمة في بداية ولايته عندما لم يصادقوا على مرشحه لمنصب وزير النفط.

في الجولة الحالية سيضطر أحمدي نجاد الى اقناع المُشرعين بأن الـ 248 مليار دولار التي تشملها الميزانية ستُصرف بصورة حكيمة، وأن الحكومة لن تخرج عن هذا الاطار طالبة الاضافات، ذلك لان عام 2006 كان عام الإسراف الأكبر بالنسبة للرئيس: هو أقدم على خطط ومشاريع كثيرة مكلفة وطلب من البرلمان زيادة الميزانية بسبب ذلك.

الأهم من ذلك، في النقاش المتوقع حول الميزانية، سيطالب البرلمان أحمدي نجاد بأن يوضح سبب تزايد الاعتماد على عوائد النفط، خلافا لما تنص عليه الخطة الاقتصادية الخمسية. حسب هذه الخطة، في السنة المالية التي ستنتهي عما قريب، كان من المفترض أن تكون نسبة النفط في كعكة المداخيل 12 مليار دولار، إلا أنها وصلت فعليا الى 40 مليار دولار. في السنة الأخيرة ايضا ازداد الاستيراد بصورة ملموسة ـ النفقات بالعملة الاجنبية ازدادت من 21 مليار دولار في 2003 الى 45 مليار في 2006. الأمر بالنسبة لايران ليس مجرد معطيات اقتصادية سيئة وانما ايضا بشائر سياسية متكررة تُدلل على اعتماد الدولة على النفط وعلى أسعار السوق العالمية وعدم تنويع مصادر الاقتصاد.

يقمع القطاع الخاص

الاعتماد على النفط يعتبر نقطة ضعف ايران. السعودية ـ التي تخشى وتغضب من الضلوع الايراني في العراق ولبنان والسلطة الفلسطينية ـ تستغل ذلك بصورة جيدة. الملك السعودي عبد الله أوضح في الآونة الأخيرة ان «العرب وحدهم هم الملزمون بحل مشكلة فلسطين، وأنه لا يتوجب ان يضع اي طرف اجنبي قدمه في اراضينا»

في اطار الصراع بين الدولتين ـ الذي يعتبر بصورة غير دقيقة حربا بين السنة والشيعة إلا انه في الواقع صراع سياسي حول مكانة ايران المتعاظمة ـ أوضحت السعودية أنها لن توافق على رفع أسعار النفط أكثر من مستواها اليوم. أسعار النفط الحالية تخدم السعودية، إلا أنها تُغضب ايران التي ترغب في رفعها. كما ان الملك عبد الله أوضح أن ايران لا تستطيع أن تهدد الغرب برفع أسعار النفط اذا فُرضت العقوبات عليها بسبب مشروعها النووي.

أحمدي نجاد يحاول مواجهة هذه الصعوبة بواسطة الميزانية التي قدمها. هو يفترض ان ثمن برميل النفط لن يهبط في السنة المالية القادمة الى أقل من 33,7 دولارا ـ وبذلك يسعى الى تخفيض التوقعات في ايران. افتراضه أن هذا هو مستوى الأسعار الذي توجد للسعودية مصلحة في الحفاظ عليه (الثمن يصل اليوم الى 52 دولارا للبرميل)، لذلك سيشكل كل برميل يُباع بسعر أعلى من هذا دخلا اضافيا للدولة، حسب تقديره. هذا الدخل سيُحوّل الى صندوق احتياطي مخصص للاوقات الصعبة مثل الحروب والكوارث الطبيعية وكذلك لمساعدة القطاع الخاص كما ينص القانون الايراني.

على الورق، تبدو الميزانية واعدة لدرجة أن بعض الصحافيين المحسوبين على التيار الاصلاحي يؤيدونها. ولكن، تظهر منها في الواقع عدة اسئلة صعبة: من أين، على سبيل المثال، ستأتي المداخيل لميزانية الدولة من غير النفط؟ هذه المداخيل يُفترض أن تأتي، كما يبدو، من العوائد الضريبية واستثمارات القطاع الخاص. ولكن يتبين ان الكثيرين من أرباب الصناعة الصغار مثل أصحاب البازارات لا يتبعون سياسة مسك الدفاتر الحسابية وفقا للقانون، ولا يدفعون ضريبة الدخل إلا وفقا لمبالغ تقديرية. كما يتبين أن ثلث الفعاليات الاقتصادية في القطاع الخاص تخص منظمات خيرية معفية من الضرائب. هذه المنظمات تقوم فيما تقوم به بتسويق منتوجات استهلاكية، ولكونها معفية من الضرائب، فهي تُلحق الضرر بالصناعات الخاصة المنافسة التي تعجز عن تطوير صناعتها والاستثمار فيها بسبب ذلك. كما أن خصخصة هيئات حكومية ـ هذه العملية التي يشجعها القائد الروحي الايراني المؤيد الأكبر للقطاع الخاص، علي خامنئي ـ لا تتقدم كما كان مخططا لها. في اغلبية عمليات الخصخصة التي نُفذت اتضح أن الشركة التي طُرحت للبيع قد اشتُريت من قبل احدى الجمعيات الخيرية غير الملزمة بالضريبة والتي تزيد من مركزية الانتاج.

أحمدي نجاد من جانبه لا يقوم بالكثير لتشجيع القطاع الخاص. على سبيل المثال، في أحد خطاباته نعت التجار بـ «ثلة من الفاسدين».

رئيس الجهاز القضائي في الدولة، آية الله شارودي المحافظ، وجه انتقادا عنيفا لهذه العبارة قائلا أنه لا يتوجب نعت شخص بأنه فاسد اقتصاديا. اذا كان هناك فساد فيجب ايصاله الى المحكمة. يبدو أن الرئيس قد فهم الرمز. أحمدي نجاد يعرف ايضا أنه قد يتعرض لاسئلة صعبة لأن صندوق الاحتياط لم يساعد القطاع الخاص ـ لانه قام بتفريغه من اجل تمويل خططه الطموحة.

هذه المصاعب لم تمنع ايران من الالتزام بالتبرع بمليار دولار لاعمار العراق. ولكن يتبين أن طهران لا تعطي المال مجانا: بعض هذه الاموال سيُخصص لاقامة مناطق صناعية على الحدود بين الدولتين حتى تربح من هذه النشاطات التجارية وتستعيد جزءا من المبلغ الذي دفعته.

في نفس الوقت يواصل المشروع النووي الايراني تقدمه من دون عراقيل. وزير الدفاع الروسي ايغور ايفانوف، أوضح خلال زيارته لطهران في هذا الاسبوع أن دولته لن تسمح لأية عقوبات دولية بالمس بعملية بناء المفاعل النووي الذي باعته لايران. هذا على حد قوله حتى اذا قامت ايران ببناء اجهزة طرد مركزية اخرى وأطلقت المزيد من التصريحات الحربجية، وايضا اذا شددت الامم المتحدة من عقوباتها. اذا كانت الحال كذلك، فهل يكون رئيس ايران نفسه هو الذي يمنع دولته من ادارة السياسة التي ترغب بها من دون عراقيل؟. محلل ايراني يسكن في لوس انجلوس – طلب عدم ذكر اسمه ـ يعتقد أن الرئيس الايراني ذكي بدرجة تكفي لادراك المؤشرات التي تصله من الشارع. على حد قوله «عندما لا يرد الزعيم الروحي خلال أكثر من اسبوعين على قرار الامم المتحدة بفرض العقوبات مُعبرا بذلك عن عدم رضاه، وعندما لا يعارض سفير ايران في الامم المتحدة التنديد بمن ينفون الكارثة النازية، وعندما يطلب رئيس الحرس الثوري الايراني السابق وخصم نجاد، محسن رزاي، العودة الى منصبه السابق، وعندما يستعد البرلمان للنقاش الكبير حول الميزانية ـ بامكاننا في هذه السنة أن نتوقع لاحمدي نجاد هدوءا أكبر. ايران تريد في نهاية المطاف مواصلة مشروعها النووي وتوطيد نفوذها في العراق، وهذه الامور لا يمكن أن تتم بالضجيج»

تسفي برئيل
المراسل السياسي للصحيفة
(هآرتس) 2007/2/2

لاسرائيل ولكل المنطقة من الافضل أن تنتصر فتح

الحسم في المعركة بين فتح وحماس لن يتحقق الا بعد سفك الكثير من الدماء

■ هذه الحرب بات من الصعب جدا وقفها. لا بالاتفاقات، لا باللقاءات بين الرئيس عباس وخالد مشعل ولا بواسطة التدخل السعودي، السوري أو المصري. وحتى حكومة الوحدة الوطنية لن توقف المعارك.

في وسائل الاعلام الاسرائيلية يتحدثون عن فلتان أمني، حرب بين العصابات والميليشيات. هذا الوصف يخطئ الواقع. الحرب هي بين حماس وفتح. الميليشيات والمنظمات الاخرى، من الجهاد الاسلامي وحتى الجبهة الشعبية، لا يشاركون فيها. وهم بالذات يحاولون الوساطة، ايجاد الحلول الوسط، وقف الحرب. والجماهير الغفيرة لا تشارك في القتال. فهي تبقى في البيوت.

حماس تقف في هذه الحرب مع 10 الاف مقاتل ـ 6 الاف من القوة التنفيذية التي اقامتها حكومة حماس و4 الاف مسلح من أعضاء عز الدين القسام. والمسلحون مدربون ومنظمون جيدا، في أطر شبه عسكرية، ومزودون بكل الوسائل القتالية: بنادق قناصة، أجهزة اتصال، سترات واقية، وسائل للرؤية الليلية، بنادق كلاشينكوف، قنابل يدوية، قاذفات ار.بي.جي وذخيرة دون قيد تقريبا. وهذه قوة مستعدة للقتال تدربت في السنتين الاخيرتين استعدادا لحرب أهلية ايضا.

ومقابلها، فتح الموالية لابو مازن ـ الى جانب قوات الامن الوطني، يبلغ عددهم نحو 60 الف مسلح. معظمهم ينقصهم التأهيل القتالي ـ مع سلاح خفيف، نقص في الذخيرة والوسائل اللوجستية ـ لم يتدربوا استعدادا للقتال ضد حماس. وذلك مثل جنود الدفاع المدني ضد مقاتلي وحدات مختارة. حماس بعثت الى المعارك في اليومين الاخيرين 100 في المئة من قواتها، بينما فتح ومؤيدوها أخرجوا الى المعركة ليس اقل من 10 في المئة من المقاتلين. ومع أن فتح نجحت في المعركة على الجامعة الاسلامية، ولكنها تلقت الصاع صاعين في أماكن اخرى. معظم قتلى نهاية الاسبوع هم من فتح. وفي نهاية هذا الاسبوع كانت يد حماس هي العليا.

الحرب الفلسطينية لا تختلف عن الحروب الاهلية الاخرى. هذه حرب على القيم، على نمط الحياة، على الهوية المستقبلية للمجتمع والدولة: الوطنية الديمقراطية العلمانية لفتح، حيال الاسلام المتطرف لحماس. حماس تقاتل بحماسة باسم الدين، مسنودة بالفتاوى التي تصف رجال فتح بالكفار وتمنح مبررا لقتل المسلمين. مثل هذه الحرب كانت في الجزائر. اما في فتح فيقولون ان المعارك تستهدف منع تحويل المناطق الى جزائر.

حماس تتعامل مع رجال فتح بانهم مرتدون ممن هجروا طريق الاسلام بعد النبي محمد. مواصل دربه الخليفة ابو بكر أصدر فتوى تسمح وتشجع قتلهم. ومن جهة اخرى ففي فتح يرون أنفسهم مسلمين حقيقيين، ويعتبرون حماس خوارج ـ المجموعة التي خرجت عن الامة الاسلامية وتتشدد في الفرائض الدينية وترى من لا يسير في طريقها كافرا حكمه الموت.

في فتح وفي حماس يفترضون ان الحرب الداخلية الفلسطينية لا تزال في بدايتها. ولهذا فان حماس تصر على تشكيل حكومة وحدة وطنية ـ بمساعدتها تقيم قوتها وتواصل السيطرة وادخال قيم الاسلام المتطرف الى السكان. هي وابو مازن على حد سواء يريدان حكومة وحدة لتحقيق هدوء في اثنائه يتعززان استعدادا للمعركة القادمة ـ نصر عسكري او نصر في الانتخابات. ولكن حكومة الوحدة لن تجسر الفجوات، والمعارك ستستأنف آجلا أم عاجلا. اما الحسم فلن يتحقق الا بعد سفك الكثير من الدماء، وبعد أن ينزع سلاح الجانب المهزوم ويقبل إمرة المنتصرين. لاسرائيل ولكل المنطقة من الافضل في هذه الحرب أن تنتصر فتح.

روني شكيد
كاتب في الصحيفة
(يديعوت احرونوت) 2007/2/4

لا يتأثرون من الضغط الروسي

سفك الدماء بين الفلسطينيين ليس مصلحة امريكية لكنهم يريدون عباس أن يخرج منتصرا من المواجهة

■ لم تكن وزيرة الخارجية الامريكية كوندوليزا رايس بحاجة الى سماعات الترجمة كي تفهم ما يقوله وزير الخارجية الروسي، سيرغي لافروف. فهي تتكلم الروسية، كل ما فعلته هو ان وجهت رأسها اليه وأنصتت. كما أنها في المؤتمر الصحافي لم تدخل معه في جدال.

لافروف أعرب عن تأييده للحديث مع حماس، مع سورية، مع كل من يمكن الحديث معه ـ أما رايس فببساطة كررت موقف الرباعية. حكومة فلسطينية شرعية هي تلك التي تستجيب للشروط التي وضعت قبل سنة. وعلى اي حال، فان الروس وقعوا على البيان الذي يعيد تأكيدها. أما كل ما تبقى، فأقاويل.

في نهاية المحادثات كان الامريكيون مرتاحين بعض الشيء. فالاوروبيون لم يجعلوا الحياة لهم صعبة هذه المرة، والمبادرة لعقد قناة موازية لاولمرت ـ عباس، في محادثات على مبادىء التسوية الدائمة، حظيت بالتأييد بل والتأييد الحماسي. وفي اللقاء عرضت رايس المسار العام، وبالاساس طُرحت هناك أسئلة اساسا. ولم يسجل أي تحفظ ذي أهمية.

رايس تعرف أن الوضع على الارض يتدهور، ولكن يخيل أنها تستند الى التشجيع من التطورات في السلطة الفلسطينية. سفك الدماء ليس مصلحة امريكية بالطبع، كما يقول موظفون في الادارة الامريكية، ولكن بعضهم يجد صعوبة في اخفاء الرضى بأن حماس تصطدم أخيرا بمقاومة نشطة بل وعنيفة لحكمها. «نحن لا يجب أن نكون وسطاء نزيهين» بين التيارات الفلسطينية، كما قال مسؤول كبير، «لدينا موقف». أي، يريدون لعباس أن يخرج منتصرا من المواجهة.

كما ان الامريكيين لا ينفعلون في هذه اللحظة من المعارضة الروسية. فقد تكون روسيا ربما ربع الرباعية، كما يقولون، ولكنهم لا يقدمون دعما حقيقيا للفلسطينيين. «10 مليون دولار»، هذا كل شيء. مبلغ صغير، ينضم هو ايضا الى الـ 400 مليون دولار التي حولت، بضغط أمريكي من دعم «الحكومة الفلسطينية» الى دعم «الشعب الفلسطيني». اي، مال لا يصل الى حماس.

ويعترف الامريكيون بأنه لم يسجل اي تغير في موقف حماس، ولكن من يرى في ذلك دليلا على فشل استراتيجيتهم ببساطة لا يفهم الى اين تهب الريح.

فقد تكون حماس لا تتحرك، ولكن اذا استمرت المسيرة الحالية، اذا واظبت الاسرة الدولية على الضغط، فستسجل حركة في اتجاه أهم: الشعب الفلسطيني سيفهم ان تأييده لحماس مغلوط. ولهذا فقد اصر الامريكيون على ان هذه لحظة حاسمة. والان بالذات، عندما يخيل أن القوات بدأت في التدبر مثلما ارادوا، فليس هذا هو الوقت لتلطيف الرسالة الدولية. على الاقل في هذه الجولة، يبدو أنهم نجحوا في اجتياز المعبر.

شموئيل روزنر
مراسل الصحيفة في واشنطن
(هآرتس) 2007/2/4

بوش يتسبب في نفور يهود الولايات المتحدة منه وابتعادهم عن اسرائيل أكثر فأكثر

■ من مئات النوادر التي تُروى حول تردد الولايات المتحدة قُبيل التصويت مع قرار تقسيم فلسطين أو عدمه، هناك نكات تشير الى الرئيس أكثر مما تشير الى مؤيدي السياسة الوليدة.

هاري ترومان تأرجح في تلك الايام بين تعاطفه الأساسي مع فكرة الدولة اليهودية وبين ألمه من الضغط المستمر الذي مورس عليه. بعد أن أعلن عن قراره تأييد التقسيم، نجحت رسالة ثناء وصلته من السناتور كلود بابر من فلوريدا، في إثارة حنقه: «وصلتني 35 ألف رسالة بريدية ودعاوية من اليهود في هذه الولاية..»، كتب لبابر غاضبا، «ولقد وضعتها كلها في سلة وأشعلت النار فيها».

روبرت دونوفان شكك في كتابه «المجابهة والأزمة» 1977 بهذه الحكاية. دونوفان قام باجراء تحقيقات بحثية مع بعض اعضاء طاقم ترومان، وجميعهم أجمعوا على أن قصة إشعال النار لم تكن إلا في خياله. في نهاية المطاف سيطر ترومان على غضبه ووافق على الاعتراف باسرائيل. ملاحظاته شبه اللاسامية التي قالها هنا وهناك، ورفضه تأييد اسرائيل بصورة أكبر بعد اقامتها، لم تُغير من الأمر شيئا. هذا الرئيس سُجل عند «اليهود» بأحرف من ذهب.

بالنسبة للرؤساء اللاحقين سُجلت ارتفاعات وانخفاضات ـ سواء في دعمهم لاسرائيل أو في تأييد يهود امريكا لهم. البروفيسور كينت ستاين الذي استقال من مركز جيمي كارتر بعد نشر كتابه (كتاب كارتر) «فلسطين السلام وليس الابرتهايد»، كتب لـ «فصلية الشرق الاوسط» أن كارتر حظي بدعم قليل من اليهود في انتخابات 1980 بسبب «ضغطه المتزايد على القدس». لم يكن هناك مرشح ديمقراطي حصل على هذا القدر القليل من أصوات اليهود منذ 1920، مثلما حدث مع كارتر، كتب ستاين في الفصل الذي يتناول فيه «جذور غضب كارتر».

الا ان جذور غضب اغلبية يهود امريكا على الرئيس الحالي جورج بوش ليست موجودة في اسرائيل. هم لم يصوتوا من اجله منذ البداية أصلا. دعمه المتواصل لاسرائيل يحظى باعتراف واحترام المؤسسة الاسرائيلية واليهودية، إلا أنه لا يحظى دائما بالتقدير الملائم في اوساط الجمهور اليهودي الامريكي العريض ـ ليبراليا أو ديمقراطيا أو حمائميا، هذا الجمهور الذي يغضب على بوش لاسباب هامة ومتنوعة. لقد كُتب الكثير في الاسابيع الأخيرة حول انخفاض اهتمام يهود امريكا باسرائيل، إلا أن الكُتاب قللوا من التطرق، أو لم يتطرقوا بالمرة، الى السياسة الامريكية. كان عليهم أن يفعلوا ذلك لأن بوش، مهما بدا ذلك غريبا، هو أحد المتسببين بتوسيع الهوة بين اليهود هنا وهناك.

هذه احدى تلك الأعطال الغريبة التي تستدعيها الفترة. يهود اسرائيل قد يكونون المجموعة الأكثر تأييدا لبوش في العالم كله. خصوصا أكثر من الجمهور الامريكي العام، وربما أكثر من أي مجموعة منفصلة. من الناحية الاخرى يعتبر يهود امريكا أقل المجموعات تأييدا له. اغلبيتهم الساحقة تعارض بوش، وتصل الى حد النفور منه. الاستطلاع الذي أجراه البروفيسور كميل فوكس بطلب من صحيفة «هآرتس» في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي، أوضح أن الاغلبية الحاسمة من اليهود ـ الاسرائيليين لا تتفق مع القول أن بوش «خطير على العالم» ـ كما تعتقد اغلبية الدول الغربية اليوم (ناهيك عن الشرق الاوسط). أما في الاستطلاع الذي أجرته «هآرتس» قبل عامين، تم تفضيل بوش بصورة واضحة من قبل اليهود ـ الاسرائيليين على خصمه الديمقراطي جون كيري. أما يهود الولايات المتحدة فقد صوتوا بجموعهم لكيري تحديدا.

في اوساط جزء من يهود الولايات المتحدة الذين يصطدمون بهذا الواقع ـ الذي يقف فيه رئيس وزراء اسرائيل الى جانب بوش ويصف الحرب في العراق كانجاز ـ تظهر صعوبة حامضة لهضمها. تعاطف الاسرائيليين مع بوش أصلا يتسبب في نفورهم منه هو ايضا. الوضع أشبه بالدلال التطهري الذي لا يقبل التناقضات. اذا كان هؤلاء هم القادة الذين تحترمهم اسرائيل، وهؤلاء هم القادة الذين يتعاطفون مع اسرائيل، فكيف سيكون بامكانهم أن يتعاطفوا معها؟. وهنا، ينشأ ايضا أفق نفي رجعي للواقع المقبول على كل اسرائيلي عادي تقريبا: بوش هو في الواقع «سيء لاسرائيل»، وانما قادتها ومواطنوها البائسون هم وحدهم الذين لا يدركون ذلك. هذا يبدو للوهلة الاولى أفقا ايجابيا ـ ذلك لان من يختاره يبحث عن طريق لمواصلة تأييد اسرائيل ـ الا انه في واقع الأمر متعال وخطير. في أساسه سعي متغطرس لسلب اسرائيل وحرمانها من امكانية التفكير المستقل بالمسار الصحيح الذي يجب أن تختطه لنفسها.

هنا يكمن مربط الفرس. بيل كلينتون، الرئيس الأكثر ودا حتى بوش، ولندون جونسون الأكثر ودا حتى كلينتون، لم يضعا اليهود في مثل هذا الامتحان. هنا حصلا على أصواتهم وأيدا السياسات المقبولة على اغلبيتهم بالنسبة لاسرائيل. بوش هو أصلا أول رئيس تدفع اسرائيل ثمن تأييده لها، حتى وإن كان هذا الثمن مخفيا عن أعين مؤيدين هامين آخرين وهم يهود امريكا. هو يُصعب على جمهور يهودي معين تفهم موقف اسرائيل ويُسهل عليه عملية الابتعاد عنها. هو ليس مذنبا بذلك بالطبع في هذا الاختبار ـ من يفشل هم اليهود وحدهم.

شموئيل روزنر
كاتب في الصحيفة
(هآرتس) 2007/2/4

القاهرة تُنتج الجاسوس الصهيوني مرة كل سنتين خلال ذروة ضغط اسرائيلي للفلسطينيين

اسرائيل ومصر توحدان القوى في مواجهة الاصولية الاسلامية التي تهاجم من جميع الاتجاهات

■ مرة كل سنة أو سنتين تُنتج القاهرة الجاسوس الصهيوني المناوب وتُزري عليه بضجة كبيرة. لجميع هذه القضايا قاسم مشترك. الخائن دائما مواطن مجهول، شق طريقه الى العناوين لغير مصلحته. التُهم، في اسوأ الحالات، سخيفة (مثلا، جمع معلومات عن الزراعة المصرية). في الحالة الأفضل، تعتمد على ملف أدلة مليء بالثقوب كالشبكة. دائما تقريبا، تنفجر القضية في فترة ذروة ضغط اسرائيلي للفلسطينيين.

لا يعني هذا ان اسرائيل قد تخلت عن الحاجة الى التجسس في الساحة الخلفية للمصريين. والمصريون ايضا يجمعون هنا معلومات بهذه الوسائل وغيرها. في عالمنا العصابي، يبحث الجميع عند الجميع. لكن المصلحة الاسرائيلية في هذه الايام هي المصلحة المصرية ايضا. إن الدولتين معا توحدان القوى في مواجهة الاصولية الاسلامية التي تهاجم من جميع الاتجاهات. انها في ايران تهدد بانتاج قنبلة نووية. وهي في غزة تُحدث حربا أهلية، وفي لبنان تريد ادارة السلطة وجعلها تبعاً لايران.

يصاغ الشرق الاوسط القديم صياغة مخالفة في هذه الايام حقا. تُعقد محالفات جديدة، وتسقط تصورات قديمة. على حسب النظام الجديد، مصر واسرائيل حليفتان، وشريكتان في محور الدول المعتدلة، الذي ينضم اليه الاردن ايضا، والسعودية وإمارات الخليج. هذا تأليف وجودي للقوى في مواجهة محور خلاصي. من اجل ذلك أخذ في التقوّي التعاون الاسرائيلي ـ المصري في مجالات الاستخبارات والمعلومات. بل يمكن أن نقول انه منذ فترة اوسلو، لم تكن العاصمتان متقاربتين الى هذا الحد.

لقد سلّم المصريون بوجود دولة اسرائيل. ان الدس الايراني والفوران في غزة يقلقان المصريين أكثر من الاستعمار الصهيوني. وهنا رغم كل ذلك، لم نسمع منذ عدة سنين عن دس ايراني أو روسي أو امريكي في العاصمة المصرية. ان الاسرائيليين وعملاءهم فقط يجمعون المعلومات السرية في القاهرة.

لماذا اذا من بين جميع التهديدات الوجودية التي تغشى النظام ـ قرر المصريون أن يعالجوا «الخطر» الاسرائيلي خاصة؟ يجب البحث عن الاسباب في الساحة الداخلية. قبل نحو شهرين ذُعر النظام حين تبين له أن جهات تشايع «الاخوان المسلمين» أقامت مسيرة عسكرية تشبه حزب الله في حرم جامعة الأزهر الاسلامية. أضاءت المسيرة ضوءا احمر، وأخرجت الاجهزة الاستخبارية في حملة قمع «للاخوان». إن المسيرة التي هي في ذروتها، تشتمل على اعتقالات بالجملة ومطاردة لا تعرف الكلل لا مثيل لها في سعتها لمصادر تمويل الحركة.

بيد ان هذه الحملة لا تتمتع بالشعبية في المجتمع المصري، المتدين والمحافظ. سيكون من الجيد أن يبرهن النظام على أنه قادر على أن يعالج ايضا أعداء الأمة الحقيقيين. لا شيء يشبه كشفا حسنا عن خلية تجسس اسرائيلية لاثبات أن الجميع متساوون أمام القانون. بل إن هذا الكشف يغطي قليلا على الخيبة المصرية في القناة الفلسطينية. اذا كانت القاهرة لا تنجح في اقناع الاسرائيليين في التوجه نحو أبو مازن فلتجبِ منهم على الأقل ثمنا ما.

جاكي حوجي
كاتبة رئيسية في الصحيفة
(معاريف) 2007/2/4